التطورات السياسية في جمهورية جنوب افريقيا حتى عام ١٩٦١

محاضرة دكتوراه تاريخ حديث مادة تاريخ افريقيا جنوب الصحراء الحديث والمعاصر

استاذة المادة الاستاذ الدكتور عفراء عطا الريس

بدايات التوسع الاستعماري في جنوب افريقيا

بدأت ملامح التواجد الاستعماري الأوروبي في هذا الجزء من القارة الافريقية ملازمتاً لحملة الكشوف الجغرافية البرتغالية ١٤٨٧لاكتشاف راس الرجاء الصالح ، كما شهد القرن السادس عشر بزوغ هولندا كقوى اقتصادية واستعمارية عظيمة ، فقد كان تجارها من اهم رجال الاعمال في القارة الأوروبية وفي عام ١٦٠٢ انشىء الهولنديين شركة الهند الشرقية الهولندية ، ومنحتها الحكومة الهولندية سلطات واسعة في عقد المعاهدات باسمها والتجارة بين جنوب افريقيا واسيا فضلاً عن بناء القلاع والتحصينات وتعين الحكام وبناء جيش دائم وفي عام ١٩٥٠ أرسلت الشركة احد العاملين فيها لأنشاء محطة في خليج الطاولة لتزويد السفن التابعة لها بالمؤن خلال رحلتها من أوربا الى آسيا وبمرور الزمن تحولت هذه المحطة الى مستوطنة ثم الى مدينة اطلق عليها مدينة الرأس (كيب تاون) اتسعت هذه المدينة بعد شراء أراضي تابعة للسكان الأصليين وخلال النصف الثاني من القرن السابع عشر أمتداد المدينة الى خارج القلعة وازداد النشاط الاقتصادي فيها فبرزت الحاجة فيها بالاستعانة بيد عاملة إضافية خصوصاً للزراعة فعمدت الشركة إلى تسريح عدد من موظفيها واعطائهم أراضي ليزرعونها عرف هؤلاء بالمزارعين الاحرار ومن جهة أخرى قامت الشركة في الحقبة ذاتها بجلب اعداد كبيرة من السجناء والعبيد من شرق افريقيا وغربها ومن الهند وسيرلانكا كيد عاملة وانخراطُ في المجتمع الى درجة اصبحوا اكثر من المستوطنين البيض ومع بداية القرن الثامن عشر أصبح لهؤلاء المزارعون الاحرار ميول للهجرة خارج سلطة الشركة وقد عرف هؤلاء باسم (البوير) أي المزارعين المتجولين ، وكان قد أقدمت بريطانيا خلال فترة الاضطراب الأمني الذي رافق اعلان الثورة الفرنسية في أوربا على احتلال منطقة راس الرجاء الصالح عام ١٧٩٥ لمنع فرنسا من

احتلالها ، وترافق ذلك مع ضعف وانحلال القوة البحرية في هولندا التي استعادت المنطقة عام ١٨٠٣ لكن سرعان ما استرجعها البريطانيين عام ١٨٠٦ واعترف بذلك رسمياً في مؤتمر فينا عام ١٨١٥ ولم يعر البريطانيين اهتمام بالغ بالمنطقة الا كونها منطقة استراتيجية بين أوروبا واسيا الا ان عام ١٨٢٠ شهد ارسال ٥٠٠٠ بريطاني الى المنطقة لتخفيف من وطأة البطالة والمشاكل الاجتماعية في بريطانيا آنذاك مما أدى الى وجود جالية بريطانية تسكن المدن مقابل جالية البوير التي سكنت الريف وظهرت الخلافات بين الطرفين عام ١٩٣٣ عندما أصدر البرلمان البريطاني قرار يقضي بالقاء تجارة الرقيق الذي اثار استياء البوير لاعتماد اقتصادهم على حيازة العبيد كما عمدت حكومة لندن الى ترتيب أوضاعها في المنطقة فأنشأت مجلس تشريعي عام ١٨٣٤ وقاموا بتأسيس مستوطنة جنوب جمهورية ناتاليا وفي عام ١٨٣٥ تم تحويل أسمها الى دوريان نسبة الى حاكم مدينة الرأس البريطاني وفي عام ١٨٥٤ شكلت بريطانيا مجلسين تشريعيين ثم منحت السكان البيض حكم ذاتي عام ١٨٧٢

السياسة الاستعمارية في جنوب افريقيا ١٨٨٠-١٩١٩

ان ظهور المعادن الثمينة في المناطق الشمالية من جنوب افريقيا قد زاد من اضطهاد البيض الهولنديين المستعمرين لأصحاب البلاد الأصليين ، اذا عمل الهولنديين على استغلال الأفارقه للعمل في صناعة التعدين وبناء المدن والطرق من خلال اتباع نظام العمل الإجباري القسري فضلاً عن استخدام سياسة التمييز العنصري التي استخدمها البوير اذ خصصوا مناطق معينة سميت (المعازل) خصصت للأفارقة ولم يسمح لهم بمغادرتها الا في حالة الذهاب الى العمل وهنا توجهت انظار بريطانيا نحو المناطق الشمالية لضمها تحت سيطرتها واستغلال ثرواتها مما أدى الى نشوب حرب البوير الأولى ١٨٨٠-١٨٨١ وقد خسر البريطانيون هذه المعركة وتوقيع معاهدة نصت على عدم التدخل البريطاني بالشؤون الهولندية في الشمال وان تكون سيطرة بريطانيا عليها اسمياً فقط وفي عام ١٨٩٩ اندلعت الحرب مجدداً بين الطرفين ، وكان كل منهما يحاول من خلال نصره الاستيلاء على جنوب افريقيا برمتها لكن الامر انتهى با استيلاء البريطانيين على بريتوريا وعلى كل جنوب افريقيا وذلك في معركة شرسة مع الهولنديين وهروب رئيسهم (كروجر) الى هولندا عام ١٩٠٠

تأسيس دولة اتحاد جنوب افريقيا

في عام ١٩٠٦ صدر قرار اللائحة الكمركية على أساس الحماية وأفضلية الصناعات البريطانية ، وكان نتيجة ذلك ظهر خلاف بين المستعمرات الأربعة (الرأس والناتال والاورنج والترنسفال) بشأن تنفيذه هذا القرار حيث احس الساسة

البريطانيين بضرورة معالجة هذا الخلاف فأجتمع مؤتمر المستعمرات عام ١٩٠٨ واكد وجوب سن دستور يجمع المستعمرات المذكورة انفاً ، فتكونت لجنة تضم احد عشر عضواً يرئسها قضاة مستعمرة الكاب وأقرت دستوراً موحداً للمستعمرات
وفي موجبه عام ١٩٠٩ اصدر البرلمان البريطاني مرسومًا اقر انشاء (اتحاد جنوب افريقيا) ووضع دستور خاص لهذه الدولة التي ارتبطت مع بريطانيا بنظام دومينون أي (نظام استقلال شبه ذاتي) وجعل لهذه الدولة ثلاثة عواصم
١-بريتوريا ٢-مدينة الرأس كيب تاون ٣-بلومفونتين
اكد هذا الدستور على حرمان الأغلبية من السكان الأصليين وصيانة حقوق الأقلية البيضاء على حسابهم ، ودخل هذا المرسوم حيز التنفيذ عام ١٩١٠ واصبح لاتحاد جنوب افريقيا مكانة في ألعالم وترأس الحكومة الجديدة الجنرال (بوثا) وكانت الفروقات العنصرية اهم مايميز الاتحاد التي سيطر عليها الأبيض اذا راعى الدستور أقتصار عملية الانتخاب على الاوربيين فقط وتمثلت السلطة التشريعية في مجلسي احدهم للشيوخ يتكون من (٥٤) عضو واخر للنواب يتكون (١٢١) عضو وكلى المجلسين من البوير وكانت حكومة الاتحاد لم تقدم أي تمثيل مباشر او غير مباشر لغير الأوروبيين وأصبحت الأقلية البيضاء هي التي تختار الهيئات التشريعية وهي التي تشكل الهيئات التنفيذية ، اما الافارقة كانت انظارهم موجهة نحو الحكومة البريطانية لتوفير الحماية ذلك ان اتحاد جنوب افريقيا كان تحت اشراف التاج البريطاني وإدارة الكومونولث
وفي عام ١٩١١ أسس حزب جنوب افريقيا بزعامة بوثا وسمطس وهبرتسوغ وكان بوثا وسمطس يؤكدان ضرورة التقارب مع الحكومة البريطانية والتعاون معها في اعداد برامج الاتحاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، اما هبرتسوغ فكان والى حد كبير يعود اليه سياسة التمييز العنصري بين السود والبيض ، وكانت يتبنى وجهة نظر ترى ضرورة ان تكون السيطرة بيد البوير (الافريكانز)

التطورات السياسية في جنوب افريقيا
١٩١٩-١٩٤٥

توفي الجنرال بوثا رئيس الحكومة الاتحادية عام ١٩١٩ خلفه في رئاسة الحكومة الجنرال سمطس (زعيم جنوب افريقيا البويري) وكانت البلاد ممزقة سياسيًا وحركات المعارضة اخذت تشكل ضغط كبيراً على الحكومة الاتحادية وازدادت طلبات السكان الأصليين في المقاومة للخلاص من الحكومة او لتخفيف حدة القوانين العنصرية التي اقرت ضدهم فأرادت

جرأت السكان الأصليين في المقاومة واخذت تكتسب الخبرات السياسية وفي ١٩٣٣ تكون حزب جديد وقوي وهو الحزب المتحد الذي تألف نتيجة تحالف حزب جنوب افريقيا والحزب الوطني ، وسرعان ما ظهر على الوجود حزبان جديدان فقد أسس مالان (حزب الوطنيين) الذي دعا الى الجمهورية و (حزب الدمينون) الذي أسسه الراديكاليون الإنجليز لشعورهم ان حكومة الاتحاد انتهجت سياسة لصالح البوير ، وما ان جاء عام ١٩٣٣ حتى أصبحت الأحزاب الثلاثة اكبر الأحزاب السياسية في جنوب افريقيا وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ وقفت دولة جنوب اتحاد افريقيا الى جانب بريطانيا على الرغم من اختلاف الآراء والمواقف بين السياسيين الا انها في النهاية وقفت الى جانب بريطانيا ضد المانيا ، وكانت الحرب قد جلبت تغيرات مهمة لصالح اقتصاد جنوب افريقيا وساعد ذلك في عملية التصنيع كما أدت الى بروز نشاط السود سياسيًا وقد تعرضت حكومة سمطس الى ضغوط شديدة من البيض والسود ، حيث عمل الاوربيون على تكوين منظمات ذات حس وطني وتحت وطأة الضغوط السياسية اضطر حكومة سمطس تحقق توازن في جميع فئات المجتمع في اتحاد جنوب افريقيا الامر الذي إثر سلبًا على فوزه في الانتخابات العامة عام ١٩٤٨

الحركة الوطنية ضد سياسية التمييز العنصري

اولاً : بروز الوعي القومي والفكر التحرري وإبرز سماته نمو حركة الطبقة العاملة قامت الطبقة العاملة بدور كبير من اجل التحرر الوطني وكآن نشاطها موجه دائماً ضد مناوءة المستعربين وساعد هذا النشاط على جذب طوائف من السكان الى الاشتراك في هذا الكفاح فنشأت نقابات العمال ومنظمات العمال السياسية وفي عام ١٩١٩ نظم العمال ولاسيما عمال الموانى وسكك الحديد سلسلة من الاضطرابات في جنوب افريقيا

ثانياً : الكنيسة ظهرت حركات دينية في الفترة مابين الحربيين العالميتين فعبرت عن سخط الشعوب الافريقية وكان الكثير من هذه الحركات يناهض الاستعمار ويهدف الى تمتع الكنائس الافريقية بالاستقلال ، كما ظهر الكنائس الافريقية في حركات الاحتجاج في الكنائس التابعة للبعثات التبشيرية حيث كانت تستهدف كنائس المبشرين والسعي لتقديم حلول تحقق الخير للمجتمعات فكانت هذه الحركات تؤكد قدرت الافريقيين على اصلاح امورهم

ثالثًا: حركة الجامعة الافريقية عقد المؤتمر الأول للجامعة الافريقية في لندن عام ١٩٠٠ وحضره عدد محدود من الافارقة طالبو بالمساواة بين العناصر المختلفة في المستعمرات ، وعقد المؤتمر الثاني للجامعة ايضاً في لندن عام ١٩١٢ وحضره عدد كبير من الافارقة طالبوا فيها بالحكم الذاتي وملكية الأفارقه لاراضيهم اما المؤتمر الثالث عقد في لندن عام ١٩٢٣ برز دور الدكتور ديبوأ في تجميع جهود الأفارقه للمطالبة بحقوقهم ، وفي مؤتمر الرابع الذي عقد في نيويورك عام ١٩٢٧ ظهرت فكرة التحالف بين الشعوب الملونة في ألعالم وفي عام ١٩٣٥ عقد المؤتمر الخامس في مانشستر وسيطر عليه المثقفون القادمون من المستعمرات في افريقيا مما أتاح فرصة لمناقشة العديد من المشاكل السياسية والاجتماعية لشعوب المستعمرات الافريقية

وتقوم الجامعة الافريقية على مبادئ أربعة رئيسية

اولاً : ان شعب القارة الافريقية له مصير مشترك وهو بحاجة إلى توحيد الجهود لايجاد الحلول لمشاكله
ثانيًا: ان افريقيا ينبغي ان يحكمها افريقيون ويجب القضاء على جميع اشكال السيطرة الأجنبية
ثالثاً : ينبغي على الشعب الافريقي إعادة بناء تاريخه وبعث الحياة في لغاته وثقافته
رابعاً : بعد انهاء الحكم الاستعماري المباشر ينبغي ان يعاد تنظيم المجتمع الافريقي سياسياً واقتصاديًا واجتماعياً

الأحزاب والتيارات السياسية في مقاومة التمييز العنصري وابرز سماته :

المؤتمر الوطني الافريقي تأسس من قبل الدكتور بيكسلي كاسيمي كرد مباشر على احداث اتحاد جنوب افريقيا عام ١٩١٠ وكان الرئيس الأول للمؤتمر الوطني الافريقي هو الدكتور جون دوبي والأمين العام هو سول بلاتجي
كان تشكيل حزب المؤتمر الوطني الافريقي خطوة هامة اذا جسدته وبشكل جاد فكره الوحدة الافريقية مطلع القرن العشرين
اختار المؤتمر الوطني الافريقي سنة ١٩٢٩ نشيده وعلمه وكان النشيد يسمى بارك اللهـــــم افريقيا ، اما العلم فكان باللون ثلاثة الأسود يرمز الى الشعب والاخضر يرمز للحقول والمروج والذهبي يشير الى ثروات البلاد الرئيسية كان المؤتمر يهدف الى إيجاد وتشجيع التفاهم المتبادل في المنطقة وجمع شعب المنطقة على مستوى واحد والدفاع عن الحرية وحقوق وامتيازات الشعب با اعتباره اول

تشكيل منظم فقد اتخذ المؤتمر اتجاه معتدلاً إزاء قضايا الافريقي والمنطقة ومن بين زعماء الحزب مانديلا واوليفر تامبو وفي أواخر الثلاثينات بدأ المؤتمر الوطني الافريقي يدخل في سبات وفوضى تنظيمة وما افقده مصداقيته الا ان انتخاب المؤتمر (الفريد زوما) سرعان ما أعاد الحياة للحزب وكانت الخزينة خالية وقام بجولة في البلاد وانعش الفروع وبذلك فقد جلب روح جديدة للمؤتمر وقضى على انقساماته القبلية وكانت الدعامة الأساسية لحركة المؤتمر الوطني الافريقي تتكون من نشاطات واعمال حزب المؤتمر الوطني الهندي الذي يعتمد على سياسية الا عنف في المقاومة وقد احضر الهنود الى جنوب افريقيا منذ مئة عام ليعملوا في مزارع القصب في الناتال ، وازدهروا واصبحوا الطبقة الثانية بعد البيض وفي إزدياد قوتهم الاقتصادية أزداد حقد البيض عليهم واضطهادهم وارتفعت الأصوات الحاقدة تطالب باعأدتهم الى اوطانهم او على الأقل تجريدهم من ممتلكاتهم لصالح البيض ، وقد اجابت الجالية على هذا الاضطهاد بمقاومة تقترب من حالة الحرب وكان يغذيها ويشجعها المهاتما غاندي ، وفي عام ١٩٤٨ ارتى الهنود ضرورة التضامن السياسي مع الافريقيين تضامنًا كاملاً واخذوا يمدونهم بالأموال وخبراتهم السياسية كما انظم الهنود الى الافريقيين في المظاهرات التي قاموا بها وفي ثوراتهم ضد الطغيان وفي عام ١٩٥٢ طالب المؤتمر الوطني وحزب المؤتمر الهندي لجنوب افريقيا بعقد اجتماعات احتجاجاً على القوانين الظالمة وكان بذلك ردت فعل عظيمة اذا اقبل الناس على تحدي قوانين التفرقة العنصرية مما أدى اتخاذ الحكومة إجراءات تعسفية تمكنت من كسر الحملة وفي عام ١٩٥٥ اصدر المؤتمر والجماعات الوطنية الأخرى ميثاق اسموها (ميثاق الحرية) والذي نص على ان جنوب افريقيا هي ملك لجميع المجموعات العرقية من سود وبيض وملونين وهنود ، كما طالب بدولة ديمقراطية على قاعدة صوت واحد لكل مواطن ، كما طالب بتأميم الصناعات الكبرى والمناجم وتوزيع الأراضي ، وذلك تأثراً بمبادى الاشتراكية السوفيتية وبتأثير من الحزب الشيوعي الافريقي وفي عام ١٩٥٧ نظم الافريقيون مقاطعة جماعية لشركة الأوتوبيس واخذ مئتي الف افريقي يقطع كل واحد منهم مسافة عشرين ميل كل يوم سيراً على الاقدام بدل من ان يدفع مليم اخر زيادة على الاجر المعتاد ، وقد تعرض الافريقيون خلال هذا الأضراب لأعمال العنف من جانب الحكومة التي اعتقلت ١٤ الف افريقي في منطقة جوهانسبرج وحدها ، وبرغم ذلك افلح الافريقيون في حمل الحكومة على سحب الامتياز من شركة الأوتوبيس ، وفي ٢٦حزيران عام ١٩٥٧ كان هناك اضراب اخر ليوم واحد ، إحتجاجاً على اتهام زعماء المؤتمر الوطني الافريقي بالخيانة العظمى ، تم الأضراب بنجاح حيث بلغت الاستجابة بين الافريقيين في جوهانسبرج وميناء اللزابيث ٧٥ ٪

الإجراءات الحكومية اتجاه الحركة الوطنية

قامت حكومة الاتحاد بحظر المؤتمر الوطني الافريقي عام ١٩٦٠ ، الا ان قيادته استمرت في نطالها ضد العنصرية من خلال المؤتمرات والندوات ودعوات العصيان

المدني وقيادة انتفاضات السود المستمرة ، وقد شكلت سلسلت الكفاح الوطني للسود ضغوط كبيرة على حكم الأقلية البيضاء واضرت بمصالح استثماراتهم الاقتصادية ولجأت الحكومة الى تأسيس جهاز الشرطة العنصرية وجهاز المخابرات المعروف باسم (مكتب التعاون المدني) لمواجهة الحركة الوطنية الافريقية ، فضلاً عن دور المؤسسات العسكرية ، وكانت مهمة هذه المؤسسات هو استخدام كافة أساليب القمع والعنف ضد السود كما أعطت الحكومة لجهاز الشرطة صلاحيات واسعة لقمع أي حركة من حركات التحرر الوطني في جنوب افريقيا ، وعند اجراء انتخابات عام ١٩٦١ والتي أجريت فيها عملية الاستفتاء البيض فقط بموجبها أصبحت البلاد جمهورية مستقلة عن الكومنولث البريطاني ليصبح اسمها جمهور جنوب افريقيا والغي مكتب الحاكم العام واستعيض عنه بمنصب رئيس ألدولة

قائمة المصادر:

١-احمد طاهر ، افريقيا فصول من الماضي والحاضر، القاهرة ، دار المعارف ،د .ت

٢-ابراهيم نصر الدين ،حركة التحرير الوطني لجنوب افريقيا ،القاهرة، دار المستقبل،١٩٨٩

٣-انطوني سامبسون ،مانديلا السيرة الموثقة ،ترجمة هالة النابلسي وغادة الشهابي، المملكة العربية السعودية ،مطبعة العبيكان ، ٢٠٠١

٤-تللو نبيل ،الموسوعة الجغرافية العالمية المصورة ،دمشق، دار غلاء الدين،٢٠٠٥

٥-جديون س وير ،تاريخ جنوب افريقيا ،ترجمة عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، الرياض، دار المريخ ، د. ت

٦-جيمس دمني وروبرت ارمانرز، افريقيا تتكلم ،ترجمة عبد الرحمن صالح وابراهيم جمعة ،الدار القومية للطباعة والنشر ،د. ت

٧-رافت غنيمي الشيخ، افريقيا في التاريخ المعاصر ،القاهرة ،دار الثقافة للطباعة والنشر ،١٩٨٢

٨-زاهر رياض ،جنوب افريقيا (دراسة سياسية واقتصادية)،القاهرة ،دار المعرفة ١٩٦١

٩-شوقي الجمل وعبدالله عبدالرزاق ابراهيم ،تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ،الرياض، دار الزهراء ، ٢٠٠٢

١٠-ضاري رشيد السامرائي ، الفصل والتمييز العنصري في ضوء القانون الدولي العام ،بغداد، دار الرشيد،١٩٨٣

١١-عبد الرزاق مطلك الفهد، تاريخ العالم الثالث، بغداد، بيت الحكمة ،١٩٨٩

١٢-عبد الوهاب الكيالي ،الموسوعة السياسية ،ج٢،بيروت ، دار الموسوعات العربية ،١٩٨٠

١٣-فؤاد محمد الصافر ،التفرقة العنصرية في افريقيا ،القاهرة، دار النهضة العربية ،١٩٦٢

١٤-فرغلي علي تسن ،تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر(الكشوف الاستعمار الاستقلال)،مصر ، دار العلم والايمان ،٢٠٠٨

١٥-محمد علي القوزي ،تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ، بيروت ،دار النهضة العربية ،٢٠٠٦

١٦-محمد عبد الغني مسعودي ،قضايا افريقية (سلسلة عالم المعرفة ٣٤)،الكويت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والابداع،١٩٨٠

١٧-نوري السامرائي، النضال الوطني في جنوب افريقيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر،دم،١٩٨٧

١٨-نعيم قداح، سياسة التمييز العنصري وحركة التحرير في افريقيا الجنوبية ،الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،١٩٩٥

الرسائل والأطاريح :

١-عفراء عطا عبدالكريم الريس، نيلسون مانديلا ودوره السياسي، اطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد /جامعة بغداد،٢٠٠٢

٢-فاطمة الزهراء بوعكاز ،حرب البوير ١٨٩٩-١٩٠١،رسالة ماجستير ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر،٢٠١١

المجلات والدوريات:

بلال عبد الموجود، احداث العنف الاخيرة في جنوب افريقيا ،مجلة السياسة الدولية، مركز دراسات الاهرام ،القاهرة،العدد٨٣، ١٩٨٦

المواقع الالكترونية :

سلافة حجاوي ،تجربة جنوب افريقيا ينظر: https://sulafahijjawi.ps/?page_id=1153